ويـــا أَثَـــلاتِ الـــقَـــاعِ قَـــلْـــبِـــي مُـــوَكَّـــلٌ
بِـــكُـــنَّ وَجـــدْوَى خَـــيْـــرِكُـــنَّ قَـــلِـــيـــلُ(١)
أَرُومُ انْـــجِـــداراً نَـــحْـــوَهـــا فَـــيَـــرُدُّنِـــي
ويَـــمْـــنَـــعُـــنِـــي دَيْـــنٌ عَـــلَـــيَّ ثَـــقِـــيـــلُ(٢)
أُحَـــدِّثُ عَـــنْـــكِ الـــنَّـــفْـــسَ إِذْ لَـــسْـــتُ راجِـــعـــاً
إِلـــيـــكِ فَـــحُـــزْنِـــي فـــي الـــفُـــؤادِ دَخـــيـــل(٣)

١٧٠
روعة الفراق

[الطويل]

فَـــمـــا وَجْـــدُ مَـــغْـــلـــوبٍ بِـــصَـــنْـــعـــاءَ مُـــوثـــقٍ
لِـــســـاقَـــيْـــهِ مِـــنْ ثِـــقْـــلِ الـــحَـــديـــدِ كُـــهُـــولُ(٤)
قَـــلـــيـــلُ الـــمَـــوالـــي مُـــسْـــتَـــهـــامٌ مُـــرَوَّعٌ
لـــه بَـــعْـــدَ نَـــوْمـــاتِ الـــعِـــشـــاءِ عَـــويـــلُ(٥)

= حمله حنينه إلى تلك الظلالة الوارفة الظليلة الأفياء لينعم بها ويتذكر ماضي الأيام السعيدة.

(١) ويقول الشاعر لأثلات القاع: إنّ قلبه ترك قياده لها، تفعل به ما تشاء، والغريب في الأمور أن مبادلة الخير بالخير من طبيعة النفوس العظيمة، ورغم ذلك فخير تلك الشجرات قليل.

(٢) يقصد بالدين الثقيل: إهدار دم الشاعر. يتمنّى الشاعر ويرغب الاستظلال بتلك الشجرات، ولكن الأمر يحمل في طيّاته مأساة حياة؛ فحياته رهن الأخطار، وبدافع الحرص على الحياة يمتنع الشاعر من المخاطرة بحياته، فثمّة دين ثقيل ثمنه حياته.

(٣) إنه حوار داخلي ذاتي، حوار نفس تتنازعها الهواجس والهموم والآمال والأحلام، والحرص يجعل الشاعر يتراجع عن عزمه ولن يقوم بتحقيق أمنيّته، لذا فالقلب يملأه حزن دفين في الأعماق.

(٤) و (٥) الكهولة: مرحلة وُسطى بين الشباب والشيخوخة. نزل بساحة ذلك المسكين عذابان: عذاب الحبّ وآلامه وعذاب السجن بصنعاء، بعيداً عن الديار؛ فالسّاقان =

يَـقُـولُ لَـه الـحـدَّادُ: أَنـتَ مُـعَـذَّبٌ
غَـدَاةَ غَـدٍ أَمْ مُـسْـلَـمٌ فـقَـتِـيـلُ(١)
بِـأَعْـظَـمَ مِـنِّـي رَوْعَـةً يَـوْمَ رَاعَـنِـي
فِـراقُ حَـبـيـبٍ مـا إلَـيـهِ سَـبـيـلُ(٢)

١٧١
الدمع الجمان

[الطويل]

ذُدِ الـدَّمْـعَ حـتَّـى يَـظْـعَـنَ الـحَـيُّ إنَّـمَـا
دُمُـوعُـكَ إنْ فَـاضَـتْ عـلـيـكَ دَلـيـلُ(٣)
كـأَنَّ دُمـوعَ الـعَـيْـنِ يَـوْمَ تَـحَـمَّـلُـوا
جُـمَـانٌ عـلـى جَـنْـبِ الـقَـمـيـصِ يَـسـيـلُ(٤)

= موثقان، يكبلهما حديد ثقيل، وساقاه أنهكهما العذاب فبدتا كساقي كهل هدّه العمر وبدتا هزيلتين، وقد تخلّى عنه الأصحاب فقلّ عددهم، يحمله الشوق بعيداً عن سجنه، وليله في العِشاء بكاء وعويل لا ينقطعان، فلا تعرف عيناه النوم وطعمه.

(١) يروى الشاعر مأساة محكوم عليه بالإعدام ويبشّره الحداد، والبشارة للخير عادة، وبماذا يبشّره؟ يبشّره بالعذاب غداة غد، وبعد ذلك بالقتل. وما هو الذنب الذي اقترفه؟ لا ندري، فلم يطلعنا الشاعر عليه.

(٢) يُقارن الشاعر بين حاله وحال ذلك المسكين؛ فعذاب الأخير ليس بأعظم من عذاب يوم فراق حبيبته وقد رحلت إلى حيث لا يعلم، ولا سبيل للوصول إلى مكانها.

(٣) ظعن: ارتحل. يخاطب الشاعر نفسه طالباً منها ألّا تنهار؛ فعليه أن يمسك دمعه، فهو دليل حسيّ ملموس في حال رحيل أهل الحيّ بعيداً يحملون معهم أمله وحلمه بحياة سعيدة، ولو فعل ذلك لافتضح أمره، فذلك دليل لا لبسَ فيه.

(٤) الجُمان: اللؤلؤ. لم يستطع الشاعر أن يتماسك ففاضت دموعه ساعة رحيل الأحبَّة، فبدت كاللؤلؤ يسيل على جنب القميص.